جامعة بنغازي –كلية التّربية

مجلة كلية التربية ... العدد الثامن عشر ... يونيو 2025



الهوية الثقافية في الشعر الليبي (مقاربة ثقافية)

Research Title: Cultural Identity in Libyan Poetry: A Cultural Approach

د. خطيطة محمد علي المبروك

.Presented by: Dr. Khatita Mohamed Ali Al-Mabrouk

أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة سرت

Assistant Professor in the Arabic Language Department, Faculty of Arts, Sirte University.

البريد الأكاديمي: khateta.mabrouk@su.edu.ly

أ. دلال محمد عبد القادر

Professor, Dalal Mohammed Abdul Qader.

محاضر مساعد بقسم اللغة العربية كلية العلوم الإنسانية والتطبيقية جامعة سرت

Assistant lecturer in the Arabic Language Department, Faculty of Humanities and Applied Sciences, Sirte University.

Dalalmohmed0057@gmail.com

الملخص

يتصدى البحثُ إلى مقاربة مفهوم الهُوية بأبعادها الثقافية والإيديولوجية، التي تشكِّلُ المجتمعَ وتحددُ ملامحه، ويتوجَّه إلى تشكلاتها في الخطاب الشعري خاصة، بوصفه نتاجًا جماليًّا وثقافيًّا، حظي بسلطة واسعة منذ أقدم العصور، وتربع على عرش فنون القول الأخرى؛ ليمثل أحد ركائز الثقافة العربية، بل المؤسس الأهم في بنائها؛ فهو ديوان العرب، والمعبر عن أغوار روح الأمة، وعن قضاياها الفكرية والاجتماعية والسياسية، ولكي لا تتسع أطراف البحث باتساع موضوع الهوية والخطاب الشعري العربي؛ تركّز الجانب التطبيقي منه حول الشعر الليبي، في محاولة استجلاء فاعليته في ترسيخ الهُوية الثقافية، ومدى ارتباطه بالثقافة العربية لغة وتاريخًا ووطنًا وانتماءً، من هنا تبين أهمية هذا البحث الموسوم

بـ :**(الهوية الثقافية في الشعر الليبي) مقاربة ثقافية.**

الذي تدور **إشكاليته** حول مفهوم الهُوية الثقافية، وتجلياته في الخطاب الشعري الليبي وتنبثق عن تساؤلات حول:

–ماهية الهُوية الحدود والمفاهيم المتاخمة.

–تكوينات الهوية الثقافية.

–فاعلية الشعر في ترسيخ الهوية الثقافية.

–تشكلات الهوية الثقافية في الشعر الليبي.

وللإجابة عن هاته التساؤلات انتظم البحث على النحو الآتي:

أولًا: مفهوم الهوية الثقافية (الحد، والمفاهيم المتاخمة).

ثانيًا: مكونات الهوية الثقافية.

ثالثًا: الشعر العربي ومكانته في الثقافة العربية.

رابعًا: الخطاب الشعري العربي وصناعة الهوية الثقافية.

خامسًا: تشكلات الهوية في نسيج الخطاب الشعري.

وخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وللوصول إلى الأهداف المرجوة تستعين المقاربة ببعض مقولات النقد الثقافي، لتستنطق تمثلات الهُوية في تضاعيف الخطابات الشعرية؛ وذلك من خلال تحليل بنية الخطاب الشعري وتشكله، والانفتاح على التأويل العميق للمقاصد المخبأة بالمضامين.

كلمات مفتاحية:

(الهوية الثقافية العربية – تشكلاتها – الشعر الليبي)

The summary.
The research addresses the concept of identity with its cultural and ideological dimensions, which shape society and define its features. It focuses on its manifestations in poetic discourse, especially as it is an aesthetic and cultural product that has held significant authority since ancient times, sitting atop the throne of other forms of expression, representing one of the pillars of Arab culture, and indeed the most important foundation in its construction. It is the diwan of the Arabs, expressing the depths of the nation's spirit and its intellectual, social, and political issues. To avoid broadening the scope of the research with the vast topic of identity and Arab poetic discourse, the practical aspect concentrates on Libyan poetry, attempting to clarify its effectiveness in reinforcing cultural identity and its connection to Arab culture in terms of language, history, homeland, and belonging. Hence, the importance of this research titled (An Approach to Arab Cultural Identity and Its Manifestations in Libyan Poetic Discourse) becomes evident.
The issue revolves around the concept of cultural identity and its manifestations in Libyan poetic discourse, arising from questions about:
What is the essence of identity, borders, and the adjacent concepts?
Cultural identity formations?
What is the effectiveness of poetry in reinforcing cultural identity?
What are the formations of cultural identity in Libyan poetry?
To answer these questions, the research was organized as follows:
First: The concept of cultural identity (the boundary and adjacent concepts)
Secondly: Components of cultural identity.
Thirdly: Arabic poetry and its status in Arab culture.
Fourth: Arabic poetic discourse and the construction of cultural identity.
Fifth: The formations of identity in the fabric of poetic discourse.
In addition, a conclusion that includes the most important findings of the research.
To achieve the desired goals, the approach draws on some concepts from cultural criticism to explore the representations of identity within the folds of poetic discourses. This is done by analyzing the structure of poetic discourse and its formation, while also opening up to a deep interpretation of the hidden intentions within the content.
Keywords: Arab Cultural Identity – Its Formations – Libyan Poetry"

المقدمة

تُعنى الدراسات الثقافية بموضوع الهوية الثقافية، بالنظر إلى تشكلاتها في مجالات الآداب والفنون والثقافة، ووفق الرؤية الجمالية؛ وتُعَدُّ الهُوية أحد المنطلقات لدراسة الخطاب الشعري، والكشف عن تفاعل الشاعر مع مجتمعه وما يحيط به، حيث يشكل الشعر ركنًا أساسيًّا من الهوية الثقافية للشعوب والمجتمعات، ويساعد على تعزيز الهوية الفردية للشاعر وهوية المجتمع الذي ينتمي إليه، وذلك من خلال إظهار الثقافة والتقاليد والمعتقدات والقيم التي تميز هذا المجتمع، بالإضافة إلى التعبير عن الوعي بالمشاكل والصعوبات والتحديات السياسية التي يواجها المجتمع، وتكون جمالية الشعر في القدرة على توصيل هذه المفاهيم بطريقة فنيه وإبداعية تلامس مشاعر المتلقين؛ من هنا يتصدى البحثُ إلى مقاربة مفهوم الهُوية بأبعادها الثقافية والإيديولوجية، التي تشكِّلُ المجتمعَ وتحددُ ملامحه، ويتوجَّه إلى تشكلاتها في الخطاب الشعري خاصة، بوصفه نتاجًا جماليًّا وثقافيًّا، حظي بسلطة واسعة منذ أقدم العصور، وتربّع على عرش فنون القول الأخرى، ليمثل أحد ركائز الثقافة العربية، بل المؤسس الأهم في بنائها؛ فهو ديوان العرب، والمعبر عن أغوار روح الأمة، وعن قضاياها الفكرية والاجتماعية والسياسية، ولكي لا تتسع أطراف البحث باتساع موضوع الهوية والثقافة والخطاب الشعري العربي؛ تركّز الجانبُ التطبيقي منه حول نماذج منتخبة من الشعر الليبي، في محاولة استجلاء فاعليته في ترسيخ الهُوية الثقافية، ومدى ارتباطه بالثقافة العربية لغةً وتاريخًا ووطنًا وانتماءً، من هنا تبين أهمية هذا البحث الموسوم.

بـ (الهوية الثقافية في الشعر الليبي) مقاربة ثقافية

وتدور إشكالية **البحث** حول مفهوم الهُوية الثقافية، وتجلياته في الخطاب الشعري الليبي وتنبثق عن تساؤلات حول:

ماهية الهُوية الحدود والمفاهيم المتاخمة.

تكوينات الهوية الثقافية.

فاعلية الشعر في ترسيخ الهوية الثقافية.

تشكلات الهوية الثقافية في الشعر الليبي.

وللإجابة عن هاته التساؤلات انتظم البحث على النحو الآتي:

ابتدأ البحث بمقدمة تتضمن خطة البحث، ثم قسّم إلى المحاور الأتية:

أولا: مفهوم الهوية الثقافية (الحد، والمفاهيم المتاخمة)

تعرّض لبناء المفاهيم للهوية الثقافية، حسب التعريف اللغوي للمادة، مرورًا بالمعنى الاصطلاحي وأنواع الهوية، (الهوية الفردية والهوية الجماعية والهوية الثقافية)، وتقاطع الهوية مع بعض المفاهيم المتاخمة من مثل مفهوم الانتماء، وبيان العلاقة التفاعلية العميقة بين الهوية والثقافة.

ثانيا: مكوّنات الهوية الثقافية.

يحاول التركيز على المكونات أو المقومات الرئيسة للهوية الثقافية العربية، والتي تحافظ على كيان العالم العربي وهويته الثقافية وتضفي عليه الخصوصية، وتعمل بفاعلية على توحيده ووحدته، وهي اللغة، والدين، والانتماء الوطني والقومي.

ثالثا: الخطاب الشعري العربي وصناعة الهوية الثقافية.

تناول أهمية الخطاب الشعري بوصفه ركنًا أساسيًّا من الهوية الثقافية للأفراد وللشعوب والمجتمعات، يساعد على تعزيز الهوية الفردية للشاعر والهوية الثقافية للمجتمع الذي ينتمي إليه، وذلك من خلال إظهار الثقافة والتقاليد والمعتقدات والقيم التي تميز هذا المجتمع، بالإضافة إلى التعبير عن الوعي بالمشاكل والصعوبات التي يواجها المجتمع.

رابعا: تشكلات الهوية في نسيج الخطاب الشعري.

يحاول استجلاء دور الكلمة الشاعرة في تقرير الهوية والانتماء إلى قضايا الوطن والدفاع عنه، والوصول إلى أبرز تشكلات الهوية الثقافية في الشعر الليبي، من خلال التطبيق على بعض النماذج المنتخبة، ورصد ما تتضمنه من إشارات خاصة بالانتماء للدين وللوطن والقومية، والتي تنم عن استراتيجية خطابية قصدها الشعراء، وتمثل مواد تكون الهويات وتشكلها.

وخاتمة تتضمن أهم النتائج التي تسنى لنا الوصول إليها.

وللوصول إلى الأهداف المرجوة تستعين المقاربة بالمنهج الوصفي التحليلي في بعض المباحث، ومقولات النقد الثقافي، لتستنطق تمثلات الهُوية في تضاعيف الخطابات الشعرية؛ وذلك من خلال تحليل بنية الخطاب الشعري وتشكله، والانفتاح على التأويل العميق للمقاصد المخبأة بالمضامين.

ولا ندعي الكمال فيما قدمنا، أو أنه كل ما ينبغي في الوصول إلى تشكيلات الهوية الثقافية في الخطاب الشعري الليبي، ولكنها محاولة في حيز الإمكان؛ فمن غير الممكن أن يستطيع البحث، استيعاب كل الشعراء الليبيين بالدراسة التفصيلية؛ لذلك اعتمدنا على بعض النماذج المنتخبة. وبالله التوفيق

أولا: مفهوم الهوية الثقافية (الحد، والمفاهيم المتاخمة)

إنّ البحث في معاجم اللغة عن مفهوم الهُوية لا يسعف بمعناها الاصطلاحي المعروف في وقتنا الحالي؛ فالهوية كما جاءت في المعاجم لفظ مشتق من الفعل هوى، أو من هُويَّةٌ تصغير هُوّة، وقيل: الهَويَّةُ بئر بعيدة المهْواةِ (ابن منظور، د.ت، ص116)؛ وقيل الهُوَة الحفرة البعيدة وهي المهواة (الأزهري،2001،ص216/6)، وفي معجم القاموس المحيط مادة (هَوَوَ)، (الهَوْهَاةُ)، وتُخَمُّ: الأحمق، والبئر لا مُتعلق لها ولا موضع لرجل نازلها، لبعد جاليها (الفيروز آبادي،2008،ص1717)، ويبتعد بذلك المعنى اللغوي لمفهوم الهوية عن المعنى الاصطلاحي، الذي اكتسبته مؤخرًا، ويعود معنى الاسم في أصوله إلى ثقافات أخرى، اشتقه بعض المترجمين القدامى من (هو)، و ليس اسمًا عربيًا في أصله.

المفهوم الاصطلاحي:

تعرض الجرجاني في التعريفات لمفهوم الهوية بمنظور صوفي يبين أن الهوية: الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النَّواة على الشّجرة في الغيب المطلق، بذلك أثبت أنّ الهوية هي الحقيقة والجوهر، وعبّر عن الهوية السارية في جميع الموجودات عند الحكماء والمتكلمين: ما إذا أخذ حقيقة الوجود لا بشرط شيء ولا بشرط لا شيء. (الجرجاني، ص216). وهي مفهوم اكتسب معناه في ثقافتنا العربية متأخرًا عن الثقافات الأخرى؛ فالهوية كلمة مولدة اشتقها المترجمون القدامى من أل " هو" لينقلوا بواسطتها إلى العربية – كما يقول الفاربي–المعنى الذي تؤديه كلمة (هست) بالفارسية وكلمة (استين) باليونانية أي فعل الكيونية في اللغات الهندو أوربية الذي يربط بين الموضوع والمحمول، ثم عدلوا عنها ووضعوا كلمة الموجود مكان أل (هو) والوجود مكان (الهوية). ومع ذلك فرضت كلمة الهوية نفسها بوصفها مصطلحًا فلسفيًّا يدل على ما به يكون الشيء هو نفسه... وتستعمل كلمة هوية في الأدبيات المعاصرة لأداء معنى Identity التي تعبر عن خاصية المطابقة: مطابقة الشيء لنفسه، أو مطابقته لمثيله، والمطابقة بهذا المعنى تكون إذًا إما عددية أو (شخصية) وهي في هذه الحالة تعبر عن كون الشيء يظل مفردًا وحيدًا مع تعدد أسمائه وعلى الرغم من التغييرات التي تطرأ عليه زمن وجوده. (الجابري، 1986م ص821) وهو ما يؤكدهُ فوليتير بتعريفه للهوية 1694: بِعَدِّها ما يجعل الشخص هو نفسه، لهذا فهي ترادف عنده التطابق، فالهوية بهذا المعنى هي وحدة الشخص أو الجماعة وما يجعله هو نفسه، أو هو هو؛ أي ما يجعله مطابقًا لذاته، وما يمنحه استمرارية في الزمن، فهي ما يخص الشخص أو الجماعة، وما يميزها أيضا. (سبيلا، والهرموزي، 2017م ص538) ويعرفها رشاد عبد الشامي: "أنها الشفرة التي يمكن للفرد عن طريقها أن يعرف نفسه في علاقته بالجماعة الاجتماعية التي تنتمي إليها والتي عن طريقها يتعرف عليه الآخرون، وبوصفه منتميًا إلى تلك الجماعة، أو هي شفرة تتجمع عناصرها

العرقية على مدار تاريخ الجماعة، .... وتتجلى الهوية كذلك من خلال تغيرات خارجية شائعة، مثل الرموز، الألحان، العادات، التي تنحصر قيمتها في أنها عناصر معلنة اتجاه الجماعة الأخرى، وهي أيضًا تميز أصحاب الهوية ما مشتركة عن سائر الهويات الأخرى" (الشامي،1967،ص5)، أما الباحث فتحي المسكين يعرّفها: " الهوية هي ما نحن دون أي جهد وجودي خاطئ"(المسكين، 2011،ص13)

وهناك من يعرّف الهوية (الجماعية أو الوطنية) بشكل جامع، بوصفها مجموعة الخصائص والقيم والقواسم المشتركة التي يتقاسمها الأفراد المنتمون إلى هذه الهوية، ويتمسك بها المجتمع أو الأمة، وتميزهم عن غيرهم، من لغة وأدب وعلوم ودين، وقانون وقواعد الأخلاق وتاريخ، وفنون وبناء سياسي، ومحيط اجتماعي وبيئة معيشة وسكنية، وخصوصية ثقافية وذاكرة وطنية، وحدود جغرافية، وهي عناصر تكوّنت وتراكمت عبر العصور. وكلما تأصلت هذه المقومات في نفوس أفراد المجتمع أو الأمة أسهم ذلك بالتأثير في ثقافات المجتمعات الأخرى وتستمد الهوية الصحيحة حيويتها من شعور أفرادها وجماعاتها بوحدتهم وتشابه خصائصهم، وأساس الهوية هو الشعور بال"نحن" أو الشعور بالانتماء الجماعي والموحد، والرغبة في العيش المشترك والمستمر فيما بينهم. ينظر (علي، 2005، ص 34) و(حسنين، ص314)، ولا تعد الهوية منظومة نهائيةً أو كيانًا مكتملًا أو منتهيًا بل مشروعًا مفتوحًا ومنفتحًا على المستقبل، مشتبكًا مع الحاضر بتضاريسه ومعطياته، والتاريخ بأحداثه وتراكماته. ومثلما تمنح الهوية الأفراد إحساسًا بالانتماء إلى جسد أكبر، فإنها تصون ذواتهم وجماعيتهم من عوامل الذوبان والتلاشي، وهذا التصور الوظيفي للهوية هو ما جعل الباحثين يميزون بين تصورين لمعنى الهوية؛ التصور الاستاتيكي الذي يشخصها بوصفها مجرد أنموذج اجتماعي وثقافي اكتمل في الماضي وانتهى، وما الحاضر إلا محاولة لإدراكه وتحقيقه. والتصور الدينامي الذي يرى في الهوية شيئا يتم اكتسابه وتعديله باستمرار، إلا كيانًا أو ماهية ثابتة، بل قابلة للتطور والتحول، فتاريخ أي شعب أو أمة ومخزونها الحضاري متجدد وعامر بالأحداث والتجارب والتفاعلات. (حسنين، ص316)

الهوية والانتماء:

يتقاطع مفهوم الهوية مع بعض المفاهيم المتاخمة من مثل مفهوم الانتماء، الذي يستعمل أحيانا مرادفًا له أو بديلًا عنه، والانتماء هو "شعور الفرد بالارتباط بالجماعة وميله إلى تمثل أهدافها، والفخر بحقيقة أنّ الفرد جزء منها، والإشارة الدائمة إلى الانتماء لاسيما في ساعات الخطر"(المشاط، 1995م، ص 17)، ويشكّل مجموعة الروابط التي تشد الفرد إلى جماعة أو عقيدة أو فلسفة معينة وقد يأخذ صورة شبكة من المشاعر، ومنظومة من الأحاسيس التي تربط بين الفرد والمجتمع، وهذا بدوره يؤسس أيضا لمجموعة من العلاقات الموضوعية التي تتجاوز حدود

المشاعر إلى مجموعة من الفعاليات والنشاطات التي يتبادلها الفرد مع موضوع انتمائه.(أسعد وآخرون، 2013م ص155)

من هنا نستوضح بعض التمايزات بين المفهومين، فالهوية مفهوم شمولي يوظف للدلالة على ظواهر مادية غير إنسانية ويتكون من مجموعة عناصر، والانتماء أحد عناصر الهوية يقتصر على الظاهرة الإنسانية دون غيرها، كما أن الهوية ذات طابع سيكولوجي فلسفي، يوظف بكثافة في مجال الفلسفة، في حين يأخذ الانتماء طابعًا سيسيولوجيًّا، ويوظف غالبًا في مجال الأدب والسياسة والاجتماع. فالانتماء القومي مفهوم ذو أبعاد سياسية واجتماعية، يمثل أساسا مهما من الهوية الثقافية للشعوب، التي يترابط أفرادها بوشائج اللغة والدين والتاريخ والفكر والثقافة، لتؤكد استقلالها ووحدتها، وانتماءها الوطني والقومي.

ويتعزز الانتماء القومي لدى الشعب العربي، حيث يستقر في وجدان معظم سكان الوطن العربي شعور بالانتماء إلى الجماعة العربية، ويتعمق لديهم حسٌ قومي واعتقاد بالأمة العربية الواحدة، وقد أسهمت اللغة العربية في تحديد الهوية العربية والانتماء القومي العربي " فاللغة هي التي شكّلت تاريخيًّا القاسم المشترك الأول الذي أدى إلى بدايات الوعي العربي وذلك قبل ظهور الإسلام" (الدوري، 1960م، ص221–227)

في ضوء ما سبق يتبين أنّ مفهوم الهوية الاصطلاحي يدمج بين انتماءات متنوعة ، وهو مفهوم وافد على ثقافتنا العربية بما اكتسبه من معان جديدة، يتميز بتعدد الأوجه، وتنوع الدلالة؛ لتداخله في حقول معرفية مختلفة نفسية وتاريخية وسياسية وفلسفية، وأنه حصيلة تفاعل عوامل اشتركت في تكوينه كاللغة، والأيدلوجيا، والتراث، والدين ؛ ويتجدد باختلاف الأمم والأزمنة والأماكن والثقافات المتباينة، ويتطور بتعاقب العصور، وما ينتج من التحولات والمتغيرات المتسارعة في عصر العولمة الذي نعيشه، فضلا عن اختلاف مفهومه من باحث إلى باحث؛ لذا من الصعب الإلمام بتعريف موحد يحدده.

مفهوم الهوِيَّة الثقافيـة:

يجدر بنا أولا أن نؤكد العلاقة التفاعلية العميقة بين الهوية والثقافة؛ لأنَّ مفهوم الهوِيَّة الثقافية يستمد دلالته من مفهوم الثقافة "بوصفها لا تضم الأفكار فحسب، وإنما تضم أشياء أعم من ذلك كثيرًا، تخص أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية، وتخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى" (مالك بن نبي،2000، ص13)، و الجذور اللغوية لكلمة ثقافة تعود الى كلمة " culture" باللاتينية دائما ويعني التقرب إلى الالهة، ويتعدد تعريف الثقافة بحسب استعمالات الكلمة وبحسب اختلاف المجتمعات، ويعرّفها "tylo,E.B " بالكل المعقد الذي

ينطوي على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك أي كل ما يتصل بمقومات الفرد والمجتمع من النواحي العقائدية والفكرية والاجتماعية والسلوكية، ويرى"كروبر " "kroperأنّ العرف هو عادة نفسية وبيولوجية معا، ارتفعت إلى المستوى الاجتماعي وارتبطت بهما قيم ثقافية كالدين والأسرة و يرى أنها تمثل الأطر النفسية لهذا المحتوى الثقافي، وأنّ أصحاب الاتجاه الواقعي تناولوا دراسة الثقافة وتعريفها في ضوء ما هو متحقق بالفعل داخل المجتمع، فالثقافة هي عادة السلوك الاجتماعي كما يمارس داخل المجتمع (مسلم، 2007،ص49)، وتعدّ الثقافة من أكثر العناصر التصاقا بالهوية لأنها المجسد الفعلي لمختلف العناصر المكونة لها عبر الفعل التاريخي، وإن بدت مستقلة، لذا تكاد الثقافة تكون مرادفه للهوية، فلا يمكن تناول مفهوم الهوية في معزل عن البعد الثقافي، وهو ما يطلق عليه مصلح "الهوية الثقافية " لقد تعددت التعريفات التي تناولت مفهوم الهوية الثقافية تبعا للرؤى والفلسفات المختلفة، وفيما يلى ذكر هذه التعريفات بشيء من التفصيل: فنجد محمد إبراهيم يعرفها " بالرمز أو القاسم المشترك الذى يميز فردًا أو مجموعة من الأفراد أو شعبا من الشعوب (عيد، 2001، ص120)، وتعرفها كريمة كريبة بأنها " مجموعة من المقومات والخصائص التي تنفرد بها الشخصية العربية، وتجعلها متميزة عن غيرها من الهويات الثقافية الأخرى، وتتمثل هذه المقومات في: اللغة والدين والتاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد والأعراف(كربية، 2015، ص70) وهناك من يرى" أنّ الهوية معناها في الأساس التفرد، والهوية الثقافية هي التفرد الثقافي، بكل ما يتضمنه معنى الثقافة من عادات وأنماط سلوك وقيم ونظرة إلى الكون، ويري الباحث أنّ الهوية الثقافية هي كل ما يميز أمه عن أمه بكل ما تحمله من قيم وعادات وسلوكيات" (كنعان،2008،ص40)، ويعرِّفها الباحث شريف كناعنة بأنها كلمة تدل على مجمل طرق توافق بني الإنسان المتعلَّمة أو المنقولة اجتماعيا؛ أي أن ثقافة جماعة من الجماعات تضم جميع طرق وأساليب حياة تلك الجماعة "ما عدا ذلك الجزء الغريزي المنقول بالوراثة البيولوجية" (كناعنه،2011،ص35)، فإذا كان هناك إجماعًا بين الباحثين على تعريف "الثقافة"، فلا شك أنّ هناك إجماع على أنها نوعان: ثقافة رسمية، وثقافة شعبية. ويُطلق على الثقافة الرسمية كذلك: الثقافة العليا أو الثقافة الكبرى، أما الثقافة الشعبية فيطلق عليها: الثقافة الصغرى أو الثقافة الدنيا. وتنتقل الثقافة الرسمية بين الأجيال من خلال مؤسسات رسمية مثل الجامعات، والتربية والتعليم، والمعاهد، والمؤسسات الدينية الرسمية، والقوانين، والأدب والفن العالي، وغير ذلك من القنوات الثقافية التي ترعاها الدولة بمؤسساتها الرسمية، وتضمن استمرارها. أما الثقافة الشعبية "فهي النتاج العفوي الجماعي المعبِّر عن شعور وعواطف وحاجات وضمير أبناء الشعب بشكل عام، وليس النخبة أو المجموعة الخاصة" (كناعنه،2011، ص47)، ويتقارب مفهوم الهوية الثقافية لدى الغرب مع مفهومها لدى العرب، حيث عرّفت في اللغة الإنجليزية بمصطلح (Cultural identity) ويقصد بها "السمات المميزة لجماعة يعيشون في منطقة معينة لها تقاليدها

ودينها ولغتها ونسبها وهياكلها الاجتماعية "(أحمد، 2017، ص7) أنّ الثقافة أو الحارة هي ذلك القدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضو في المجتمع" (دنيس كوش،2007،ص30)، ومهما يكن من أمر، فإنّ الهوِيَّة الثقافية لشعب من الشعوب أو جماعة من الجماعات إنما تستقي خصائصها من نوعَيْ الثقافة السائدة في ذلكُم المجتمع أو تلكُم الجماعة؛ أقصد الثقافة الرسمية والثقافة الشعبية، ولكن الخصائص المستوحاة من الثقافة الشعبية أهم في تكوين الهوِيَّة الثقافية للأمة، وأكثر حفاظا عليها وضمانا لاستمراريتها؛ إذ هي تنبع من روح الشعب، وتعبِّر عن شعوره وضميره، وتملك خاصية الانتشار السريع والعفوي في الزمان والمكان، وهي مع ذلك سهلة الاستعمال والحفظ، دون الحاجة إلى تدخل أية جهة رسمية، وعلى عكس ذلك، تمثِّل الثقافة الرسمية منتوج النخبة، ولا تنتج عن عفوية، بل هي نتيجة لعمليات عقلية ومنطقية، وتوجَّه غالبا للمتعلمين، وقد لا يتذوقها إلا قلة من النخبة، وغالبا ما تكون هذه الثقافة عالمية، أين يتعسر لمس الخصائص التي تميز شعبا عن شعب، ومجتمعا عن آخر(شريف كناعنه، 2011، ص47)، وكلايد كلهون Clyde Cleoney: يعرّفها "بالميراث الاجتماعي الذي يحصل عليه الفرد من مجموعته التي يعيش فيها وهي معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب والمواد والأدوات" (محسن حسين، ص23)، ومن ثم يمكننا القول: إنّ لكل مجتمع ثقافته الخاصة، يتميز بها عن جميع المجتمعات الأخرى؛ بل إنّ "الهوِيَّة الثقافية هي حجر الزاوية في تكوين الأمم لأنها نتيجة تراكم تاريخي طويل" (محمد عابد،2012،ص12)، نستنتج مما سبق أن الهوية الثقافية هي مجموعة من السمات الثقافية التي تميز أبناء مجتمع معين عن غيرهم من أبناء المجتمعات الأخرى، وتولد لديهم نوع من الشعور بالألفة والتماسك الاجتماعي والإحساس بالانتماء لهذا لمجتمع، وهي الخصوصية الثقافية التي تميز شعب عن غيره، كما أنها قابلة للتطوير والتجدد مع الاحتفاظ بخصائصها الثابتة التي تحددت بفعل التاريخ واللغة والقيم والدين، وللهوية الثقافية ثلاثة مستويات وهى: المستوى الفردي، ويعرف باسم الهوية الفردية، ويشير إلى ثقافة كل فرد من أفراد المجتمع بصفته الشخصية، والمستوى الجماعي، ويعرف باسم الهوية الجماعية، وهى ترتبط بتأثير مجموعة من الأفراد الذين يمثلون جماعة معينة في الهوية الثقافية السائدة في المجتمع الذى يوجدون فيه، والمستوى الوطني ويعرف باسم الهوية الوطنية، وهى التي تجمع بين الهوية الفردية والهوية الجماعية في مجموعة واحدة تعد المكون الرئيسي للهوية الثقافية التي تشير إلى الفرد، والجماعات داخل الدولة الواحدة (مجد خضر، 2016).

ثانيا: مكونات الهوية الثقافية.

تتحدد الهوية الثقافية العربية وتتمايز عن بقية الثقافات؛ بتعاون مقومات تحافظ على كيان العالم العربي وهويته الثقافية، وتضفي عليه الخصوصية، وتعمل بفاعلية على توحيده ووحدته، وتمنحه

البقاء، ويمكننا الاكتفاء بثلاثة عوامل أساسية وهي (اللغة، والدين، والانتماء الوطني والقومي)، ولانعدم وجود مقومات أخرى ذات فاعلية في تشكيل الهوية العربية، ندع ذكرها خشية التطويل.

اللغة العربية

تُعد اللغة جزءًا مهمًا من كيان الشخص وهويته ووجوده الاجتماعي، بالإضافة إلى أنها ذات صلة وثيقة بهوية الدولة، وهي أداة التعبير عن الانتماء الثقافي والفكري والارث العقلي والروحي لمواطنيها، واللغة العربية المكون الأول والرئيس للهوية العربية؛ والعامل المهم في وحدة العرب القومية؛ لأن أغلب أفراد المجتمع العربي يتحدث اللغة العربية، ورغم تعدد اللهجات وتنوعها فإنها لا تنفصل عن اللغة العربية الفصحى، فهي تمثل القاسم المشترك عبر التاريخ، الذي يربط أبناء الشعب العربي برباط قوي يمتد تاريخيا إلى فترة ما قبل ظهور الإسلام، وازدادت أهميتها بنزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، فهي لغة القرآن الكريم الذي ساعد على حفظها من التغيير ومنحها بقاءً واستمرارا، فأصبحت لغة كتاب الله، وأداة التعبير والتفكير والخطاب والتواصل بين أبناء الشعب، تحمل تراثهم الثقافي وتمثل هويتهم، وإذا تخلت الأمة عن لغتها فإنها تخلت عن هويتها؛ لأن اللغة وعاء للثقافة والهوية، الذي يدثرها بالحماية ويمنحها الحصانة ويميزها بالمكانة التي تستحقها بين بقية الأمم.

الدين الإسلامي

ثمة رباط وثيق بين العروبة والإسلام؛ فقد نشأت الأمة العربية واتسعت رقعتها بانتشار الإسلام واستقرار دولته التي تمثل دولة العرب، وازداد توسع الدولة الإسلامية حتى ضمت الجزيرة العربية، مع غزوات النبي– صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدين من بعده، ودخول العرب الإسلام وانتصاراتهم خلال الفتوحات الإسلامية، وفي العصر الأموي اكتسب الدولة الإسلامية طابعها العربي الخالص، واستأثرت القبائل العربية في ذلك العهد بالسلطة، وأبعد الأمويون الموالي من الفرس والخراسانيين وبقية الأجناس الأخرى عن الحكم والسياسة، فالخليفة عربي، وقواد الجيش عرب، فكانت دولة عربية إسلامية، ومع قيام الدولة العباسية، رفع شعار العدالة والمساواة ودولة الجميع، ومنحت للشعوب الأخرى الحرية، وكان التطور الخطير في مقاليد الحكم العباسي، ومكانة الفرس العالية في هذا العهد سببًا في بروز (الحركة الشعوبية)، وشُنَّ هجوم معنوي عنيف على العرب، ودارت المعارك السياسية والأدبية ضد "الشعوبية"، لأن ما تستهدفه الحركة الشعوبية هو القضاء على العروبة والإسلام، فتحقق الوعي بالهوية من خلال الوعي بالآخر الأعجمي وبالإسلام والعروبة، وبالتالي فإن الانتماء إلى الثقافة العربية والإسلامية هو الذي يحدد الهوية.

فالدين الإسلامي يمثل العقيدة والشعائر والقواعد التشريعية والسلوكية والنظام القانوني، ينضاف إلى ذلك أن له تأثير كبير في تنظيم الحياة المادية والاقتصادية والمعنوية وأنماط السلوك، والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد "وكثير من مظاهر السلوك اليومي تعكس الدين كأحد المقومات الثقافية المهمة للمجتمع العربي، وتكشف في الوقت ذاته عن قوة الإسلام ومدى تمسك المسلمين به (ينظر أبوزيد ،2004م، ص36)

الانتماء القومي والوطني

يكشف الخطاب الشعري عن حقيقة الشعور القومي والوجدان الجماعي منذ القدم، فقد عبر الشعراء عن معاني المدح والحماسة الفخر بقوة القبيلة وعظمتها، و"أكثر الشعراء الذين نظموا هذا الشعر فرسان أشَّداء يطعنون بالأسنة والألسنة بل أن كثير منهم كانوا يرتجلون المقطعات، أو يرتجزون الأراجيز وهم في حلبات الصراع يروعون بها الخصوم، ويستثيرون الحمَّية ويحرضون على الكر والفر ويتغنون بالأمجاد تالدها والطريف "(ينظر طليمات والأشقر،1992م ص136) ،وتنبثق الهوية القومية عن إدراك ووعي عميق بوجود الأمة العربية السياسي والاقتصادي والاجتماعي والحضاري المتميز، والعمل الدؤوب لإبراز هذا الوجود، وعن شعور الشعوب العربية الحقيقي بالعلاقات الوثيقة والاندماجية، وحتمية تحرير المجتمع من الهيمنة الخارجية، ومن هيمنة أدوات التخلف والتبعية واسترداد الكرامة، وقد تطور الوعي بالذات والهوية القومية عبر التاريخ، لدى العرب في مواجهة الأزمات والصراعات السياسية ورفض الاستعمار و الاحتلال والتنديد بالتجزئة والحدود بين أقطار الوطن العربي.

المبحث الثالث: تشكلات الهوية في نسيج الخطاب الشعري الليبي

للشعر العربي أهمية كبيرة في الثقافة العربية قديمة كانت أو حديثة، وهو جزء لا يتجزأ من التراث الأدبي العربي، تمتد جذوره إلى عصور ما قبل الإسلام، ويعد الشعر في الثقافة العربية فن من فنون التعبير عن الأفكار والمشاعر، وسرد القصص، وتبادل الخبرات، حوى ديوان الشعر مواضيع متعددة من مثل الثقافة والحب والحزن والطبيعة والدين والوطن والشخصيات التاريخية، ولا يقتصر الشعر على فن الكلام فحسب، بل يعنى بالشكل والموسيقا والايقاع، ووسيلة للحفاظ على تاريخ الأمة وتراثها الثقافي وتقاليدها وقيمها، ويوثّقَ العلاقة بين حاضرها وماضيها، ويتيح للشعراء التأمل في مجتمعهم والعالم من حولهم، ويحفز الخيال ويوسع آفاق الفهم والتفكير، من خلال ما يصوره الشعراء من عوالم مختلفة، وتجارب شخصية، وتوثيق للحظات تاريخه وثقافية مهمة، وبالتالي، يشكل الشعر ركنا أساسيا من الهوية الثقافية للشعوب والمجتمعات، حيث يساعد على تعزيز الهوية الفردية للشاعر والهوية الثقافية للمجتمع الذي ينتمي إليه، وذلك من خلال إظهار الثقافة والتقاليد والمعتقدات والقيم التي تميز هذا المجتمع، بالإضافة إلى التعبير عن الوعي بالمشاكل والصعوبات

التي يواجها المجتمع، وتكون جمالية الشعر في القدرة على توصيل هذه المفاهيم بطريقة فنيه وإبداعية تلامس مشاعر المتلقين، ويعد الشعر أداة قوية للتعبير عن الهوية الثقافية لا نه يجسد جوهر الثقافة من خلال استخدام اللغة والصور والموضوعات، فيمكنه نقل تقاليد ومعتقدات وقيم وتاريخ مجموعة من الناس بأسلوب فني جميل، ويمكنه الحفاظ على التراث الثقافي وتعزيزه، فضلا عن كونه وسيلة للتعبير عن الذات والتواصل مع الأخر، ويوفر نظرة ثقافية لتجارب وعواطف الأفراد والمجتمعات، ما يسمح بالتواصل مع الثقافات المختلفة وفهمها، ونظر العرب إلى الشعر على أنه خزانة المعرفة، وموطن الحكمة، فقد روي البخاري في صحيحة ان النبيρ ،قال: «إِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكْمَةً»(البخاري،1422هـ،8/ص34)، وللشعر على الدوام الدور الكبير والمزايا الحميمة في تعزيز الثقافة والتواصل وإثراء العلاقات الإنسانية بين الأمم والشعوب وله دور أساسي في صياغة الثقافة العربية عبر العصور، ولا يمكن فصل الشعر عن الثقافة العربية في عصورها كافة، فالشعر العربي وشيج الارتباط بالتاريخ والمجتمع والحياة اليومية، والموسوعات التاريخية كتاريخ الطبري، والمسعودي واليعقوبي وحتى تاريخ ابن خلدون مرصعه بقصائد وأبيات متناثرة هنا وهناك، ما يثبت أنّ العرب أمة شعر بلا منازع، والمعاجم في الأصل معاجم قواف لا معاجم أبجدية على الطريقة الأوربية، ولغتنا العربية منذ عُرفت اللغات لغة شعرية وسجع قبل أن تصبح لغة نثر وترسل.

مما سبق تتجلى أهمية الخطاب الشعري ودوره الكبير في تشكيل الهوية الثقافية الفردية والجمعية وبخاصة في مجتمعنا العربي عبر عصور طويلة خلت، لأن الشعر من أكثر الفنون الأدبية التي ارتبطت بالحياة العربية منذ أقدم العصور، واختزنت الثقافة و الأحداث والمآثر الحضارية العربية في مراحل مختلفة، فقد كان الشاعر الناطق الإعلامي لقبيلته وقومه، والصوت القوي الذي يؤكد مكانتها والمدافع عنها بين قبائل العرب؛ فقد حمل الخطاب الشعري تعبيرا عن ذات الشاعر وهويته ووجدانه، وتعبيرا عن الهوية الوطنية لكثير من سكان الوطن العربي، فالتقى مع غيره من الخطابات الشعرية حول هوية واحدة مثل الهوية القومية والوطنية، فلاريب في أن الشعر خطاب أدبي فاعل ومؤثر في المجتمع؛ بما يحمله من أفكار ومضامين وتجارب تعانق الواقع بأفراحه وأتراحه، تُستلهم مادته من الحياة، ويرسم التفاصيل بشفيف الألفاظ ودقيق المعاني، يترجم الإحساس ويلامس المشاعر الإنسانية، ويحرك الوجدان، ويوثّق العلاقة بين الحاضر والماضي، ويعبر عن لحظات جمالية تتكشف فيها الأواصر بين الشاعر والأشياء، يبحث بوعي عن الذات وعلاقتها بالآخر، ويستشعر خطر علاقتها الجدلية مع الآخر، ويؤكد مكانتها وتمايزها في مواجهة التحولات الفكرية الشديدة، ويكشف النقاب عن الأحداث المتداخلة والمتسارعة وصراعات الهويات، التي ألقت بظلالها على الوجدان الإنساني، وكان لها تأثير في المجتمعات والثقافات المختلفة، الأمر الذي شكل خطرا محدقا بهوية بعض الشعوب، على هذا النحو صور الشعر الليبي معالم الشخصية الثقافية

والاجتماعية، وتواشج الخطاب الشعري في ليبيا بغير قليل من القضايا الفكرية والوطنية التي ترسخ الهوية الثقافية العربية، وتؤكد خصوصية الثقافة والانتماء للإسلام والوطن والعروبة والقومية، فعبر الشعر عن القضايا الوطنية خاصة والقضايا الإنسانية عامة، ووثقت تضاعيف القصائد مراحل تاريخية متباينة، فقد واكب الأحداث الدائرة في ليبيا، فحمل معاناة الشعب الليبي من الاحتلال الإيطالي، وكان هاجسه إثبات الهوية التي سعى المستعمر الإيطالي إلى طمسها. وساندت القصائدُ المجاهدين المقاومين للاحتلال، وسجلت مآثرهم وتضحياتهم ونضالهم. وآزر الخطاب الشعري المعارك القومية، وصدح بجراحات الوطن العربي وشجونه وآماله، ودافعت القصائدُ الملتهبة ببسالةٍ عن أرض فلسطين تقاوم الاحتلالَ الصهيونيّ، فتدفق الشعرُ التحاما بدماء الشهداء وخيام اللاجئين، وصرخات الأطفال الموجعة، ودوت أصداؤه مجللة، متصدية للآخر العدو تعري الظلم والعدوان، فقد أسهمت الحروب والاستعمار الصراعات الثقافية والإيدلوجية في ظهور نتاج أدب النضال السياسي، كنوع من أنواع مقاومة الشعوب أطلق عليه المقاومة الثقافية، مواجهة للزيف والطغيان والظلم والاحتلال، ومثَّل هذا النتاج الأدبي بُعدا مهما من أبعاد الهوية وبناء الذات الإنسانية والثقافية العربية، شغل مساحة واسعة من أدبنا العربي وكان للشعر نصيبٌ وافرٌ منه، له تأثيرٌ عظيم في استجابة الجموع وتحريكها واصطفافها تحت سقف الانتماء للوطن والحرية.

وهذه ومضات خاطفة من تشكلات الهوية الثقافية في الشعر الليبي، نسوقها على سبيل المثال لا الحصر، تتمثل في نسيج الخطاب الشعري من خلال ما ينطوي عليه من أبعاد وطنية وقومية ودينية.

أولا: الشعر وتشكيل الهوية الوطنية

صنع الخطاب الشعري بجماليته تَشكّلات ثقافية، ترسّخُ في الأفهام وفي لا شعور استعدادًا سلوكيًّا يتحكم في ذواتنا، بتوخي القول الهادف الفاعل الصّانع للوطنية والرفض المَهْموم بالأرض وبالنضال، وما يحمله من شحنات إشعاعيّة وثراء دلالي، يؤجج الإحساس بالهوية، والانتماء للوطن والأمة والعروبة.

ومن أهم الأحدث المتعاقبة في تاريخ ليبيا فترة الاحتلال الإيطالي الذي حاول محو الهوية العربية والإسلامية للبلاد لغايات استعمارية استيطانية، تصدى لها الشعب الليبي ورفع لواء المقاومة والجهاد، فتلاحقت التضحيات والبذل الصادق والفداء، وقدم الأبطال الشهداء مثالاً للبطولة من شعب آمن بحقه فقوض أركان العدو الغاشم، وطهر الأرض من دنس المستعمر المغتصب، وأجلاه عن التراب الليبي.

حيث انبرى عدد من الشعراء الليبيين للدفاع عن الوطن بالكلمة الشاعرة التي تعانق بنادق المجاهدين في المعارك، فتصدت خطاباتهم الشعرية للظلم تعري جرائم المستعمر، وتصور معاناة الشعب، وتعبر عن قسوة الواقع المعاش، تستنهض الهمم، وتستثير العزائم، وتؤازر المقاومة، وتدفق الشعرُ قوة وغضبا ورفضا وثورة، تؤكد الهوية والشخصية الوطنية؛ لتخلق تفاعلا بين الخطاب الشعري ونبض الشعب.

رضينا بحتف النفوس رضينا ولم نرض أن يعرف الضيم فينا

ولم نرض بالعيش إلا عزيزا ولا نتقي الشر بل يتقينا

فما الحر إلا الذي مات حرا ولم يرض بالعيش إلا أمينا

وما العز إلا لمن كان يفدي ذماماً ويفني عليه الثمينا

وما الخزي والعار إلا لشخص إلى وطن العز أضحى مهينا

ونحن فروع زكت من أصول فنحيي مآثرنا ما حيينا

لتاريخ عنصرنا في الورى حديث على صفحات السنينا

(المصراتي ، 2000م، ص103)

وعبر الشعراء عن حب الوطن وارتباطهم العاطفي بوطنهم ليبيا وانتماءهم الوجداني بفضائه وتربته:

رمل (ليبيا) وطني قلبته في يديا شعشعت حمرته زاهية شيئا فشيا

(عبد القادر، 1985م 1394و.ر. ص 76)

تحول الشعر إلى رسالة وطنية واجتماعية، مشحونة بمفردات الانتماء للوطن مكانا وتاريخا وذاكرة، وتجلى حب الوطن كملمح بارز في الحفاظ على الهوية، وتشكيل الوعي الوطني، والتصدي لمحاولات التشويه والاقتلاع ومواجهة سياسة الاحتلال، وانعكس حب الوطن في كثير من القصائد منها قصيدة التليسي التي يقول فيها:

وقفٌ عليها الحبُّ شدت قيدنا أم أطلقت للكون فينا مشاعرا

وقفٌ عليها الحبُّ ساقط نخلها رطبا جنيا أم حشيفا ظامرا

وقفٌ عليها الحبُّ أمطر غيمها أم شحَّ؟ أو نسيت محبًّا ذاكرا

وقفٌ عليها الحبُّ كُرمى عيَنِها تحلو منازلة الخطوب حواسرا

وقفٌ عليها الحبُّ تنْظِمُ عِقدنا ركبا توحَّد خُطوةً وخواطرا

(التليسي، خليفة. 1989م. ديوان خليفة التليسي ط/1ص 18)

ويرتبط الشاعر بوطنه ارتباط روحيا عميقا، يجعله يزهو لانتصاراته ويحزن لانتكاساته وألآمه؛ ولذلك وثَّقَ الشعرُ معاناة الشعوب من قهر المحتل والعذاب داخل المعتقلات، وصوَّر سنوات القهر والسجن والمآسي، كشكل من أشكال بناء هوية الذات والخصوصية للجماهير الليبية المقاومة في الوطن. وقصيدة (رؤيا من المعتقل) التي يوجهها الفزاني إلى شاعر معتقل العقيلة رجب بوحويش خير مثال لذلك، بما تحمله من أبعاد تراثية يتقاسمها الشاعر مع المتلقين، تنبش ذكرى مؤلمة ووجع موشوم في ذاكرة كل ليبي، فيستشعر معاناة الأجداد من أجل الوطن ويترسخ الشعور بقوة الانتماء بتواصل الماضي بالحاضر، واستحضار شخصيات نضالية مثلوا رموزا وطنية لتاريخ الجهاد والاستشهاد في ليبيا كعمر المختار، يقول: (الفزاني، علي عبد السلام 1983م، ص 351)

(ما بي مرض)

يا شاعرا رأيته في المعتقل

دموعه تنهار

طفلته تقاوم الكفار

يا عمر المختار!

قم فرق التتار

(ما بي مرض)

رأيته على مشارف العقيلة

رأيت محنة القبيلة

وهناك تلكموا (الحليلة)

يا أخوتي مأساتنا ثقيلة

قصتنا طويلة طويلة

(ما بي مرض)

لكن أنا أنذرتكم من كوَّتي

وعاركم في جبهتي

يا ويحكم لا تستحون!

(ما بي مرض)

الصافنات المسبلات

شعورهن كالكواعب

دسن على رؤوس ألف غاصب!

تلخطت بالدم

ظفائر دوائب!

وتعكس كثير من القصائد إحساسا وطنيا جياشا لدى الشاعر بالواقع القاسي الذي يعيشه وتعيشه الأمة كلها وإذا الشاعر يشكو ويتألم، أو يثور ويتمرد.

كيف أشدو بالأغاني ...وأرى

عار قومي ...في خيام لاجئين؟

إن فنا ..ليس يؤتي أكله

عن شعور ..لهو فن الهالكين

أيها الضمآن شعري كالح

وشكوكي .. ضيعت نور اليقين

إن في غوري ظلاما، وسنى

وسلاما ولهيبا، كالأتون

(الفزاني، علي عبد السلام 1983م، ص44) قصيدة أغنية الدرب الرابع

ويتأكد دور الكلمة الشاعرة في تقرير الهوية والانتماء إلى قضايا الوطن والدفاع عنه في قصائد عديدة من مثل قول الشلطامي:

عدتي في ساحة الحرب

قصيدة

وأغان قالها العمال في كل بلد

"ليسقط الفاشست" وليمض الزمن

يا مسوخ الهتلريين القساة

(الشلطامي، محمد. 1998م ص21)

ويتجاوز ارتباط الشاعر بجغرافية الوطن وحدوده، ويمتد فضاؤه الشعري في الوطن العربي كله، كسبيل لبث الوعي القومي والوطني ومؤازرة النضال الليبي والعربي والقضية الفلسطينية، والحركات التحرّرية والنضالية الوطنية، ونجد مثاله في قول علي صدقي عبد القادر:

وأي نداء أجل من الترب، فيه نداءات أجداديه؟

ففي كرم (يافا) ملامس أمي، تسيل حنانا على الدالية

وظل أبي ما بزال (بحيفا) كما كان بالأمس في الساقيه

سنزحف للنصر في فجر يوم ونمضي إلى الجولة الثانية!!

إلى وطن قد جرى بالدماء ويهدر في صرخة عالية

يصيح وفي صوته نكهة التراب يضوع من الرابية

وأي نداء أجل من التراب، فيه نداءات أجداديه؟

(عبد القادر، علي صدقي 1985م 1394و.ر. ص 351)

المكان والتراث في الخطاب الشعري وتمثيل الهوية

يضطلع المكان في الخطاب الشعري بدلالات مادية وثقافية، بوصفه رقعة جغرافية يولد أو ينشأ فيه الإنسان ويتواصل مع الأخرين ويكتسب طابعه؛ فينتمي إليه اجتماعيا وثقافيا ويصبح جزءا من تكوينه الروحي، فالمكان يمثل حالة ثقافية إلى جانب كونه جغرافيا وتاريخ وأرض يشكل الهوية الشخصية.

طرابلس الغرب لي وطن أعزُّ بلاد وأكرم حي

ولكن شرقيها شاقني وما شاقني فيه غير ظبي

ظبي ولكنهم صحفوه بنقص البناء فسموه بي

تنبأ بالحسن في فترة فآمنت لما تجلَّى علي

وإن لم أكن مؤمنا بالذي أشاهد من آيه فبأي

أنست بخديه نار الهدى فنزهت في نورها مقلتي

وهمت ولا غرو في حسنه وهل خلق الحسن إلا لكي

وجدت بروحي ولا منة عليه وأخرجتها من يدي

(بن زكري، مصطفى. 2010م ص 65)

ثالثا: الشعر وترسيخ البعد القومي العربي للهوية

ومن أبرز تشكلات الهوية الثقافية في الشعر الليبي، الانتساب إلى الوطن والعروبة والإيمان بالقومية العربية بوصفها حقيقة انتجها التاريخ واللغة والتراث والثقافة المشتركة بين أبناء الوطن العربي، الذي توطد بقيام المحاولات الوحدوية، وتزايد المد القومي منذ النصف الثاني من القرن العشرين، ما أنشأ وعيا والتزاما لدى الشعراء الليبيين بقضايا الوطن وهمومه والنداء بحتمية الوحدة العربية لمواجهة الأعداء المستعمرين.

يا أخي بالشام، بالمغرب ما هذي الحدود؟

أحــدود بينـنا في وطــن دك القيـــــــود؟

أنت بعض من كياني بك لي في هذا الوجود

فإذا (المشرق) غنى، صار (بالمغـرب) عيد

(عبد القادر، على صدقي1985م 1394و.ر ص 356)

ومن يقرأ الشعر العربي يلاحظ أن شعر الفخر والحماسة مثَّلَ نسقا له جذور ثابتة في ثقافتنا العربية، وملمح أصيل من ملامح الشخصية العربية التي طُبعت على قيم الشجاعة والإقدام ومواجهة الضيم، فما انفك الشعراء منذ العصر الجاهلي عن الإشادة بالبسالة والإقدام في الحرب وجولات السيوف الصوارم، والفخر بالقبيلة وانتصاراتها، وكذا الشعر في الإسلام، وإن اختلفت دوافع الحرب والقتال؛ فكان خالصا لنصرة دين الله الحنيف والحق لا ظلم ولا اعتداء، فاضطلع الشعر بدوره في تعبئة الجيوش، وتصوير المعارك بين المسلمين وأعدائهم، والتغني بالنصر، ويشيد بكل بطولة لأبناء قومه، زهو واعتزاز بقومه وانتمائه.

ولم يغيب الفخر عن ذهن الشعراء الليبيين، وبرز ارتباطهم بأوطانهم، واعتزازهم بالانتساب إليها؛ فافتخروا بفضائل أقوامهم وتحدثوا عن أصالتهم وسيادتهم، وازدهوا بأمجادهم:

حيوا بني وطني من أمة العرب — تمثلت فيهموا ا روح من الأدب

دعاهموا الوطن الغالي فما بخلوا — وأبخل الناس من يُدعى ولم يُجب

ليوث غاب إذا ما ضويقوا وثبوا — وأي ليث لدفع الضيق لم يثب

لهم نفوس إذا حركتها اضطرمت — بعد السكون اضطرام الماء في اللهب

لا غرو أن يدّعى الليبي أن له — ما للعروبة من مجد ومن حسب

لديه من لغة القرآن معجزة تلوح كالدر والياقوت والذهب

(المصراتي، .2000م ص112)

ويتأجج في نفس الشعراء الليبيين الحس القومي بعزة الأمة العربية، ويظهر اعتزازهم بماضي الأجداد ومآثرهم، وبالماضي الحافل بالأمجاد والبطولات والفتوحات، فأخذوا يتغنون بعروبة الأجداد ومفاخرهم.

وأقول ولم أدع لسواي قولا ولا لمعارض أبدا يدان

أنا العربي في وطني وأهلي إذا افتخر الورى نسبي كفاحي

رجال في الرسوخ فأسد غاب إذا وثبوا بميدان الطعان

(المصراتي، علي مصطفى.2000م. أحمد الشارف دراسة وديوان **ص73)**

يطرق عين همتنا سهاد وهمتنا تجل عن البيان

ألسنا في الطراد بنو نزال وفي الهيجا بنو سبق الرهان

سلونا كل شاغلة وقمنا بتعليم الرماية والطعان

وهل تهوى أكف الأسد إلا مصافحة المهند واليماني

وأشهد أنه أولى مهم وأفضل ما تقدمه اليدان

(بن زكري، مصطفى. 2010م ص52)

وإن هذا الفخر والاعتزاز بالماضي لم يعدم أحيانا الإحساس بالهزيمة والذل والمهانة؛ نتيجة الانكسارات السياسية في الواقع العربي المعاش؛ فيكون سببا في لجوئه إلى الماضي البعيد ليستذكر بعض الهزائم والنكبات من صفحات التاريخ العربي الإسلامي، حيث يستحضر الخطاب الشعري شخصيات ذات دلالة خاصة في الذاكرة الجمعية من مثل قول الفزاني في قصيدة شجرة برتقال تغني (أغنية للمعركة) حين يذكر (هولاكو وجنكيز) فيتجسد مشهد الهزيمة وغزو المغول وسقوط بغداد (عاصمة الخلافة والثقافة الإسلامية في ذلك الوقت)

أنت يا ليل المواويل، ويا نهر الدموع

نحن جئنا نبتغي في جزر الأحلام ضوءًا وشموع

فوجدنا ألف (جنكيز)، ألف(هولاكو) على هذي الهضاب

ناشرا في الصفصف المغبر آلاف الحراب

جثث الموتى وأنهار الدماء العاتيات

وطواحين العداة

وأكاذيب الصباح المدهشات

كتبا تجتر أمسا، وصحافا مثقلات

برؤى الأفيون والخمر، وأوهام الدعاة

زرعونا طحلبا في نزق التاريخ أنصاف موات

أن "هارون" على وجه الكتاب

غارق في الطيب مسعور الرغاب

يتسلى بفتاة من بلاد الروم في الأرض الخراب

آه أبعد عن عيوني كل حلم، وتمرغ في التراب

لم تزل يافا على الصدري العذاب

هات لي كأس شراب

من كروم الوطن المسلوب من ذاك التراب

(الفزاني، علي عبد السلام 1983م، ص 321)

رابعا: الأبعاد اللغوية والدينية للهوية في الشعر الليبي

ظهر جليا اهتمام الشعراء الليبيين بالشعر العربي القديم، بوصفه قيمة يجب المحافظة عليها، فكتب بعضهم القصيدة العمودية وجاءت قصائدهم موحدة الوزن والقافية، وحرصوا على احتفاظ قصائدهم بخصائص القصيدة القديمة، وكثافة الصّور الشعريّة التي تنقل القارئ إلى جوّ الصحراء وآبادها، واستحضار بعض معاني ونّصوص لشعراء قدامى وشخصيّات تاريخية عربية قديمة، كما عنوا بالشكل وحشد المفردات الجزلة والكلمات الغريبة التي تُعَزّزُ الانتماء للتّراث الشعري والهوية العربية، أما عن البعد الديني للهوية في الشعر الليبي فيتجلى ممتدا بامتداد التاريخ الإسلامي، يمتاح من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ثابتا راسخا متجذرا في العقيدة والقيم متأصلا في تفكير المجتمع العربي الليبي الإسلامي، يشكل ركيزة نظامه الثقافي، وقد مثل البعد الديني مرجعيةً أساسية تحكم موقف الشعراء من الله ومن أنفسهم ومن العالم

لا غرو أن يدعي الليبي أن له ما للعروبة من مجد ومن حسب

لديه من لغة القـرآن معجــزة تلوح كالدر واليـاقوت والــذهب

تخـاله في ارتيــاح من تجده بالرغم عما به مـن شدة التعب

عزم لديه وإيمان وتضحية يوم اللقاء بلا خوف ولا رهب

(المصراتي، علي مصطفى.2000م. أحمد الشارف دراسة وديوان ص 64)

وبناء على هذه النماذج المنتخبة نخلص إلى أن الخطاب الشعري الليبي حمل تشكلات للهوية، تعكس الانتماء الذي تؤكده الذات من خلال إيقاعات خاصة بالهمّ العربي، وأحداث ليبيا والوطن العربي، وعبر بفن عن الذات والحياة، وتأكيد الهوية معتمدا في ذلك على الكلمة القوية، في خلق مشروع شعري ينفتح على التجارب الشعرية العربية والدولية، ويترسَّم أهدافا سامية، ويعبَّر عن استراتيجية إنسانية، وسياسية وثقافية، فحملت العديد من القصائد انعكاسا للنضال الليبي والعربي والقضية الفلسطينية، وأسهم في بناء الذاكرة الليبية والعربية، و تمجيد قيمة البطولة والشجاعة والقوة، والفخر بمكانة أقوامهم وما لهم من مجد وعز وإباء وأنفة وسؤدد وأخلاق.

نتائج البحث

- مفهوم **الهوية** الاصطلاحي مفهوم وافد على ثقافتنا العربية بما اكتسبه من معان جديدة، ودلالات متنوعة؛ لتداخله في حقول معرفية مختلفة نفسية وتاريخية وسياسية وفلسفية، كما أنه حصيلة تفاعل عوامل اشتركت في تكوينه كاللغة، والأيدلوجيا، والتراث، والدين؛ ويتجدد المفهوم باختلاف الأمم والأزمنة والأماكن والثقافات المتباينة، ويتطور بتعاقب العصور، وما ينتجه من تحولات ومتغيرات متسارعة في عصر العولمة الذي نعيشه، فضلا عن اختلاف مفهومه من باحث إلى باحث؛ لذا من الصعب الإلمام بتعريف موحد يحدده.
- يرتبط مفهوم الهوية بإشكالية تحديد الانتماء سواء للفرد او الجماعة، حيث تمثل الهوية المرتكز الفعلي للحضور الاجتماعي، والقوة التي تحرك الذات وتجعلها قادرة على الشعور والممارسة داخل المجتمع؛ لذا لا يمكن تناول مفهوم الهوية في معزل عن البعد الثقافي، وهو ما يعرف "**بالهوية الثقافية** ."وهي مجموعة من السمات الثقافية التي تميز أبناء مجتمع معين عن غيرهم من أبناء المجتمعات الأخرى، وتولد لديهم نوعا من الشعور بالألفة والتماسك الاجتماعي والإحساس بالانتماء لهذا لمجتمع، وهي الخصوصية الثقافية التي تميز شعبا عن غيره، كما أنها قابلة للتطوير والتجدد مع الاحتفاظ بخصائصها الثابتة التي تحددت بفعل التاريخ واللغة والقيم والدين.
- تتشكل الهوية من جملة من المكونات والركائز أهمها اللغة العربية، والدين الإسلامي، والبعد الوطني والقومي، والتراث وقد عنى بهذه المكونات العديد من الفلاسفة والمفكرين، وتأكد حضورها بحضور التاريخ.
- يتواشج الخطاب الشعري بغير قليل من القضايا الفكرية والوطنية التي ترسخ الهوية الثقافية العربية، وتؤكد خصوصية الثقافة والانتماء للإسلام والوطن والعروبة والقومية، وللشعر مكانة خاصة في الثقافة العربية سواء كانت قديمة أم معاصرة، بوصفه يمثل تعبيرا فنيا وثقافيا فرديا يتجاوز الزمن والمكان، ويعبر عن جمالية اللغة وعمق الإنسانية.
- حمل الخطاب الشعري الليبي تشكلات للهوية تعكس الانتماء الذي تؤكده الذات من خلال إيقاعات خاصة بالهمّ العربي، وأحداث ليبيا والوطن العربي، وعبر بفن عن الذات والحياة، وتأكيد الهوية معتمدا في ذلك على الكلمة القوية، وخلق مشروع شعري ينفتح على التجارب الشعرية العربية والدولية، ويترسَّم أهدافا سامية، ويعبَّر عن استراتيجية إنسانية، وسياسية وثقافية، فحملت العديد من القصائد انعكاسا للنضال الليبي والعربي والقضية الفلسطينية، وأسهم في بناء الذاكرة الليبية والعربية، وتمجيد البطولة والشجاعة والقوة، والفخر بمكانة أقوامهم وما لهم من مجد وعز وإباء وأنفة وسؤدد وأخلاق.

المصادر والمراجع

1. إبراهيم يحياوي، القنوات الفضائية وثقافة الشباب، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد غيث، الجزائر،2018.
2. أبو زيد، أحمد،2004م، هوية الثقافة العربية، ط1الشركة الدولية للطباعة.
3. أحمد علي كنعان، الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظلال العولمة الجديدة، دمشق،2008.
4. بن زكري، مصطفى. 2010م ديوان مصطفى بن زكري ط2 مداد للطباعة للنشر والتوزيع والإنتاج الفني.
5. التليسي، خليفة. 1989م. ديوان خليفة التليسي ط/1الدار العربية للكتاب، الجماهيرية العربية الليبية.
6. الجابري، محمد عابد، 1986م الموسوعة الفلسفية العربية ط1، معهد الإنماء العربي.
7. الجرجاني، محمد بن علي الشريف، معجم التعريفات، ط1 دار الفضيلة.
8. حسنين، أحمد حسين، اللغة والهوية في الوطن العربي إشكالية التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الفصل الثامن).
9. حفيظة محلب، الإذاعة المحلية والهوية الثقافية الجزائرية في ظل تحديات العولمة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد15.
10. دعاء محمد أحمد إبراهيم، التوزيع الاجتماعي لتعليم وتشكيل الهوية الثقافية، مجلة العلوم التربوية، القاهرة،2017.
11. دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، تر: منير السعيداني، بيروت،ط1،2007.
12. الدوري، عبد العزيز، الجذور التاريخية للقومية العربية، بيروت ط2،دار العلم للملايين 1960م.
13. سبيلا، محمد والهرموزي، نوح، 2017م موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفية ط1، منشورات المتوسط.
14. سعيد إسماعيل علي، 2005 الهوية والتعليم ط1، عالم الكتب القاهرة.
15. شريف كناعنة: دراسات في الثقافة والتراث والهويَّة، حققه وأعده للنشر: مصلح كناعنة، مواطن، المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية، رام الله، 2011.
16. الشلطامي محمد1998م ديوان أنشودة الحزن العميق ط2، الدار الجماهيرية للنشر والإعلام.

17. د. طليمات، غازي و د. الأشقر، عرفان، 1992م تاريخ الأدب العربي، الأدب الجاهلي – قضاياه، أغراضه، أعلامه، فنونه،ط1، دار الإرشاد بحمص، سوريا.

18. عبد الرحيم ناجح، كثافة اللغة في الخطاب الإسلامي، مقاربة بين البرامج التلفزيونية والصحافة المكتوبة، مجلة الدراسات الإسلامية، برلين ألمانيا، المركز الديمقراطي العربي، العدد الحادي عشر، مايو 2020.

19. عبد القادر، علي صدقي 1985م 1394و.ر الأعمال الشعرية الكاملة، ط1،المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان طرابلس الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.

20. عبيدة صبطي، عادل قايد، الصورة الفنية ودورها في بناء الهوية الثقافية للمجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد2017،19.

21. الفزاني، علي عبد السلام الأعمال الشعرية الكاملة(المجموعة الأولى) ط4 1983م، المنشأة العامة للنشر والتوزيع طرابلس، الجماهيرية.

22. قواسم بن عيسى، تمثيلات الخطاب التراثي في الرسائل البصرية من الإرث الى الأثر، مجلة الدراسات الإعلامية، برلين، المانيا، المركز الديمقراطي العربي، العدد الحادي عشر،مايو2020.

23. كريمة محمد كربية، اللغة والهوية، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود، 2015.

24. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط4، 2000.

25. محسن حسين، أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين، دار الكتاب الجامعي، الإمارات.

26. محمد إبراهيم عبد، الهوية الثقافية العربية في عالم متغير، مجلة الطفولة والتنمية،2001.

27. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط: الأولى، 1422هـ،8/.

28. محمد عابد الجابري: مسألة الهويَّة؛ العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2012.

29. محمد مسلم: مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1 2007.

30. المصراتي، علي مصطفى، 2000م. أحمد الشارف دراسة وديوان، ط3 الدار الجماهيرية للنشر والإعلان بنغازي.

31. المشاط، عبد المنعم، 1995م، التعليم والتنمية السياسية، مستقبل التربية العربية (القاهرة) السنة1 العدد(2)

32. وطفة، علي أسعد، وآخرون، 2013م الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان.